شذرات نقدية
في مذكرات محمد فال الخير الشنقيطي (1293 – 1351هـ)

يحيى محمد الهاشمي
أستاذ الأدب واللسانيات
جامعة نواكشوط العصرية

منهج البحث:

- تأطير
- تقديم المذكرات
- كلمة عن المؤلف
- شذرات تتضمن مواقف وأحكاما نقدية
- تعليق في ملاحظات

أولا: تأطير:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم مادة أدبية نقدية كانت إلى وقت قريب مجهولة لم يطلع عليها الباحثون؛ لكونها كانت، ولمدة قرن، مخطوطة مطمورة في المشرق العربي، نعني بعض الآراء والأحكام النقدية عند محمد فال الخير الحسني الشنقيطي الواردة في مذكراته التي مرت اليوم (1436هـ) على كتابتها 99 سنة هجرية في عنيزة بالمملكة العربية السعودية.

وكانت كتابة هذه الشذرات النقدية متزامنة مع كتابة ما تضمنه كتاب: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط الذي كتب ونشر بالقاهرة سنة1911م.

ولو أتيح لهذه الشذرات النقدية عند محمد فال الخير الحسني ما أتيح من النشر والتداول والإعلام لكتاب صديقه أحمد بن الأمين العلوي الوسيط لتكاملت صورة الشعر الشنقيطي ومدى مشاركته في نهضة الأدب العربي المعاصر واتضح المزيد من ملامح البواكير الأولى لنشأة نقد الشعر عند الشناقطة في القرنين 13 والقرن 14هـ.

ونحن في هذه الدراسة نتناول موضوعا جديدا قديما مغا، جديدا، لأنه أكتشف حديثا في الساحة الأدبية[1]. قديما، لأن صاحبه كتبه قبل قرن من اليوم وفي بلاد الغربة في المشرق العربي إبان معمعان الحرب الأوروبية العالمية الأولى (1914 – 1918م)، وهنا تكمن أهميته وطرافته بالنسبة للقراء والباحثين جميعا، فلم يعد من المقبول في عصر التقنيات الحديثة بقاء جزر معرفية مطمورة خارج التناول، بعيدا عن أيدي الباحثين والمهتمين، كما أنه لم يعد من المناسب كتابة تاريخ العلوم والمعارف بالصورة المجتزأة التي كانت تكتب بها قبل قرن أو قرنين لاختلاف الأحوال وتغير المعطيات وتوفر ما لم يتوفر آنئذ مما يتوفر اليوم من المعلومات ووسائل تحصيلها وتداولها، وزوال العذر في جهلها أو عدم الاطلاع عليها...

ومع ذلك، بل من أجل ذلك، نقدم إحدى تلك اللبنات الأساسية لنشأة النقد الأدبي في موريتانيا، لجعلها مع غيرها من لبنات النقد العربي في العصر الحديث حتى يكون الأساس الذي تبني عليه الأحكام الأدبية والنقدية لدى الناقد الأدبي الموريتاني، أقرب إلى الحق والعدل والاستقامة.

فبعد تناولنا لعينية سيدي محمد ولد الشيخ سيديا (ت 1289هـ) بالدراسة، قبل عقد من الزمان[2] ها نحن نقدم شذرات نقدية وردت في فقرات كانت كتابتها متزامنة مع نشر تلك العينية النقدية، أو جاءت بعدها مباشرة كالامتداد للاهتمام بالنقد[3] يومئذ، فما هي مصادر هذه الشذرات؟

---

[1] استطعنا الحصول على صورة من النسخة الوحيدة من هذه المذكرات زودنا بها مشكورا الدكتور عبد العزيز سعود البابطين رئيس مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري بالكويت مطلع العام 2014 بعد جهود من البحث والتنقيب شارك فيها الدكتور عبد الرحمن الشبيلي فلهما منا جزيل الشكر والعرفان بالجميل.

[2] نشرت تلك الدراسة في مجلة التعليم بالمعهد التربوي الوطني العدد 35 السنة 29، 1425 الموافق 2004، ص 49–65

[3] سبق أن تناول الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر د. أحمد جمال ولد الحسن في كتابه الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر دراسة في الأساليب، كما نشير إلى ما نشر مؤخرا من دراسات أدبية ونقدية موريتانية متخصصة من أساتذة جامعة نواكشوط ولم يرد في مؤلفات هؤلاء ولا غيرهم– لحد الآن حسب علمي–ما تضمنته مذكرات الشنقيطي محمد فال الخير من ومضات نقدية، وذلك لعدم الاطلاع عليها.

ثانيا: تقديم المذكرات[1]

1 – توثيق النسخة المصححة من المذكرات

أصل النسخة المعتمدة نسخة نادرة مصورة عن نسخة مؤسسة البابطين للإبداع الشعري المرقونة على الآلة الكاتبة (القديمة) مؤرخة في نهايتها 1967م، أمدنا بها سماحة الدكتور عبد العزيز سعود رئيس مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري / بالكويت، الذي نسدي إليه هنا جزيل الشكر وصادق العرفان بالجميل على ما تفضل به من إهدائنا هذه النسخة الفريدة، لحد الآن، من مذكرات الشيخ محمد فال الخير الشنقيطي؛ لننشرها ضمن أعمال الندوة[2]، فاعتمدناها أصلا و أساسا لإعدادنا لهذه النسخة المصححة الجاهزة للنشر، والشكر موصول لأخينا الدكتور عبد الرحمن الشبيلي بالمملكة العربية السعودية على سعيه معنا في تحصيل هذه المذكرات وما قدمه في سبيل التعريف بأعمال الشنقيطي الثقافية والإصلاحية.

ونظرا لتباين مستوى صفحات النسخة المصورة، في مدى المقروئية، حيث كانت في غالبيتها مقروءة وفي باقيها تتعذر القراءة أحيانا، كان لزاما على المصحح البحث عن الوسائل الممكنة لتكميل الناقص وفهم غير المقروء وتصحيح الأخطاء المطبعية... ونظرا لعدم العثور على نسخة كاملة، حتى اليوم، فقد استعنا بثلاث وسائل:

أ – الفقرات المطبوعة التي أوردها عبد اللطيف الدليشي[3] في كتابه عن الشيخ الشنقيطي: من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، نقلا عن مخطوطة مقابلة مع مخطوطة المؤلف.

---

[1] كنا قد أعددنا هذا التقديم للنشر مع المذكرات ضمن أعمال ندوة عن إسهام أربعة من العلماء الشناقطة في النهضة العربية بالمشرق.

[2] وهي الندوة التي نظمتها، جامعة شنقيط العصرية، بالتعاون مع جمعية بلاد شنقيط للثقافة والتنمية في 13 /14 – 11 –2013 بنواكشوط عن إسهام أربعة من علماء الشناقطة في النهضة الثقافية والأدبية بالمشرق العربي بمناسبة مرور مائة عام على وفاة أحمد بن الأمين الشنقيطي.

[3] عبد اللطيف الدليشي الخالدي/ من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة/ الشيخ محمد أمين الشنقيطي من 1293 إلى 1351هـ / 1876 إلى 1932م طبعة أولى 1401هـ / 1981م بغداد – العراق

ب – بضع ورقات من أول المذكرات مصورة من خط المؤلف–وهنا تكمن أهميتها رغم قلة عدد صفحاتها–توجد في مكتبة الأستاذ عبد الله ولد بوبوه الحسني من أسرة المؤلف، وقد أمدنا بصورة منها الشيخ حبيب الله بن لبي جزاهم الله خيرا[1].

ج – الاستعانة بإجراء لقاءات مع بعض أهل الذكر وخاصة من أسرة أهل الشيخ فال الخير لتوضيح بعض الإشارات أو تصحيح بعض الأسماء غير المقروءة من النسخة المعتمدة (نسخة البابطين). ورغم ضغط الوقت فقد استطعنا إعداد نسخة غير كاملة ولكنها مصححة تصحيحا أوليا، وهي مؤلفة من هذه النسخ جميعا، وبالتالي فهي تحتوي – رغم نقصها – ما ليس في واحدة من أصولها منفردة. ولتمييز هذه النسخة المصححة عن أصولها سنسميها نسخة مكتبة التقوى من الزاوية الحسنية (مكتبتنا الأهلية) ريثما يعثر على النسخة الأصلية الكاملة.

بعض المضامين:

أ ـ هذه المذكرات تدخل في أدب الرحلة، حيث كتبها صاحبها محمد فال الخير "عجالة" فيها تعريف بنفسه وبمحيطه الذي هاجر منه (الجنوب الغربي الشنقيطي)، وكانت كتابتها تلبية لطلب من المحيط الذي هاجر إليه (الخليج العربي) طلبها منه أحد تلامذته في عنيزة هو: عبد الله بن عبد العزيز البسام، كما تضمنت المذكرات خلاصة اللقاءات والمناظرات والمجالس الأدبية والعلمية والفكرية خلال الرحلة أخذا وعطاء؛

ب ـ نشير إلى أن هذه النسخة من المذكرات كتبها صاحبها في فترة متوسطة من الرحلة هي مدة إقامته في عنيزة[2]، منفيا أو متخفيا، من الإنجليز بعد مشاركته في معارك العراق ضد الإنجليز إبان

---

[1] هذه الورقات موجودة منها نسخة مصورة بمكتبة التقوى من الزاوية الحسنية – نواكشوط (بحوزتنا)

[2] الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي/القواعد الفقهية – تحقيق د.سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل/ ط2 1429هـ –2008 م الرياض، ص 17. (حيث أورد المحقق محمد الأمين فال الخير صاحب المذكرات ضمن مشايخ عبد الرحمن السعدي قائلا:"الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، نزيل الحجاز قديما ثم الزبير، لما قدم عنيزة وجلس فيها للتدريس؛ قرأ عليه المؤلف في التفسير والحديث ومصطلح الحديث وعلوم العربية كالنحو والصرف ونحوهما، (ت 1351هـ"، كما أورده الدكتور فريد بن عبد العزيز الزامل السليم، في دراسته عن الشيخ عبد الرحمن السعدي، وشيوخه في العدد 476 من المجلة الثقافية فضاءات الصادرة بتاريخ 18 محرم 1437هـ قوله :"الشيخ محمد بن الأمين بن عبدي الشنقيطي رحمه الله الذي طوف البلاد الإسلامية، وجاهد الانجليز في البصرة، وأقام في عنيزة أربع سنين).

الحرب الأوروبية العالمية الأولى (كتبها من سنة 1336 إلى 1338هـ) أي بعد مرور نحو عشرين سنة على بداية الرحلة 1317، فكانت ،بذلك التأخير في التدوين، أقرب إلى ذكريات منها إلى مذكرات، ولو لم ينقلها من عنده اثنان من طلابه في مدينة عنيزة لضاعت، كما أن ما بعد هذه الفترة من عمر الشيخ وهو زهاء 12 عاما لم نجد عنه شيئا في المذكرات، وإن كان أحد طلابه المتخرجين من مدرسة النجاة وخليفته عليها الشيخ ناصر الأحمد[1] لخص أهم منجزاته بعد كتابة ما كتب من المذكرات، فإما أنه توقف عن كتابة المذكرات أو كتبها وما تزال مفقوده؛

ج ـ تعتبر مذكرات الشيخ محمد فال الخير وثيقة ثقافية، في نسيجها ومضات أدبية لغوية وتاريخية تحمل بصمات اجتماعية وفكرية مندمجة.

فعلى سبيل المثال جاء في هذه المذكرات بعض الشذرات الأدبية والنقدية التي تضمنتها اللقاءات والمجالس العلمية والأدبية مع مشاهير علماء عصره وأدبائهم كلقائه بالشيخ سيدي بابا الذي استنشده من شعره فأنشده وأخبره بأن أديب الحجاز عبد الجليل برادة أرسل إليه يريد منه شعر الشناقطة وتراجم شعرائهم، وطلب الشيخ سيديا بابا من محمد فال الخير(وهو يومئذ شاب في العشرين من عمره) أن يعينه على هذه المهمة قائلا: إن هذا الكتاب عن شعراء شنقيط إذا تم سيكون معظمه منكم فالشعر قد بنى خيمته في الحسنيين وفرق أولاده في القبائل الأخرى، وكلقائه كذلك مع الشيخ ماء العينين الذي استنشده، فأسمعه من إنشاده وإنشائه ولقائه مع ابنه أحمد الهيبة الذي سأله عن أشعر شعراء الحسنيين، فذكر له المؤلف أن أشعر شعراء القبيلة يومئذ هو المختار بن المعلى، فقال أحمد الهيبة: إذن هو أشعر الناس، فقال المؤلف: أنا لا أقول ذلك وإنما أقول:إنه أشعر قبيلتنا فقال أحمد الهيبة أثبت لي أنه أشعر قبيلتكم اثبت لك أنه أشعر الناس على الإطلاق، وأخيرا قولة محمد محمود ولد التلاميد التركزي للمؤلف ما تحفظ من شعر ابن عمك شاعر الدنيا محمدٌ بن حنبل؟ .. إلى غير ذلك من المناظرات المتضمنة لمواقف وآراء أدبية أو نقدية دالة على المستوى الرفيع لوعي الناشئة الأدبية عصرئذ.

وفي المذكرات طرافة تتجلى في روحها العفوية، وأسلوبها المباشر في الغالب، ونقلها لصورة واضحة من تاريخ المجتمع العربي الإسلامي في المغرب والمشرق هي فترة ما قبل مجيء

---

[1] الدليشي الخالدي/ مرجع مذكور/ ص 290

الاستعمار إلى الوطن العربي(من شنقيط للخليج)، كما توضح تطور وعي صاحبها وكيف رصد هو تطور وعيه بنفسه بسبب تأثير الرحلة ولقاء الرجال من مختلف البلدان والمذاهب، وكيف كان الشيخ إلى وقت كتابة الذكريات المذكرات، وفيا لثوابت هويته العربية الإسلامية، متطور الوعي والفكر من حصر العمل في المذهب المالكي (العمل بالفروع) إلى تبني العمل بالحديث (العمل بالأصول)، وكيف تعلم وتربى في محيطه تربية عربية إسلامية نقية في صحراء موريتانيا (محضرية: شعرية شرعية، بصرية مالكية)، ثم أضاف إليها ما أضاف من مجالس علمية ومناظرات أدبية ولغوية أثناء تطوافه المديد(نحو 20 عاما): شمل أوطانا كثيرة، أهمها المغرب ومصر والحجاز والهند وعمان والأحساء والبحرين والكويت... ليلقي بعصا التسيار والرحلة في العراق متفرغا للعمل بما علم، مجاهدا بنفسه في ميدان مقاومة الاحتلال الإنجليزي للعراق والكويت، ثم مرشدا ومدرسا ومؤسسا لجمعية النجاة ومدرستها في الزبير بضاحية البصرة صحبة آخرين من رواد الإصلاح النهضة العربية كالثعالبي والدكالي ورشيد رضا وغيرهم من من كان معه في الحجاز والخليج[1]، فتلاقت أفكارهم الإصلاحية، فكانوا جميعا يشكلون ثلة من رواد النهضة الثقافية والإصلاحية في الوطن العربي[2]، إلى أن توفي على ذلك رحمه الله تعالى في البصرة 1351هـ الموافق 1932م تغمده الله برحمته الواسعة.

---

[1] حيث شارك في معارك مقاومة الاحتلال الإنجليزي للجنوب العراقي وفي تأسيس جمعية النجاة ومدرستها التي تحتفل بعد سنتين بمرور قرن على تأسيسها حيث تجلى فيها فكره الإصلاحي في التربية والتعليم، وحيث أفتى بتدريس البنات وعمل على نشر التعليم الأصيل لأفواج الشباب والأطفال من الروضة إلى أعلى درجات التعليم حينئذ، مع التركيز على نشر الوعي العربي الإسلامي السليم بالرجوع إلى الكتاب والسنة، منطلقا لتجديد الأمة وإنهاضها: بالعلم والعمل وعلاج أمراضها من جهل وخرافات وبدع وانحرافات، واسترجاع قوتها أمام الغزاة والطغاة.

[2] من الأسماء البارزة الذين ذكرهم الدليشي مع الشنقيطي روادا للنهضة الثقافية بالمشرق الشيخ حافظ وهبة المصري، محمد الإزميري بالكويت، محمد خراشي الأزهري، عبد العزيز الرشيد، عبد العزيز أحمد المبارك الأحسائي، الشيخ نور الموصلي، الأديب عبد الوهاب الزياني البحريني، رشيد رضا صاحب المنار، محمد خليفة النبهاني، نور الدين الشيرواني، علي البدران، عبد العزيز الناصري التكريتي، محمود المجموعي، مصطفى المفتي، محمد سليم العماري، هاشم النقيب، محمود الحوراني، محمد بن عوجان، إبراهيم العبد الله آل إبراهيم، محمد الرايح المغربي... وغيرهم،

ونختم تقديمنا لهذه الشذرات النقدية بتحقيبنا لأهم محطات رحلة محمد فال الخير الحسني الشنقيطي على شكل عناوين[1]:

أهم المحطات في المذكرات

1 – ما قبل الرحلة من 1293– 1317هـ /1900م

2 – بداية الرحلة: محطة المغرب 1318 هـ/1901م

مع الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل

مع ابنه أحمد الهيبه

3 – المرحلة المصرية: آخر 1318 وأول 1319هـ /1902م

مع الإمام محمد عبده

مع محمد محمود ولد التلاميد التركزي

4 _الحج والحجاز من 1319 إلى 1327هـ /1908م

5 – في الخليج والعراق: تأسيس مدرسة النجاة 1327 – 1351هـ

وفي هذه الفترة كتب مذكراته بعنيزة وقام بأهم أعماله الإصلاحية

6 – تكملة المذكرات من قبل ناصر الأحمد بأهم إصلاحات الشنقيطي.

ثالثا: كلمة عن صاحب المذكرات

ولد محمد فال الخير الحسني بمنطقة "العُقْل" عام 1293 هـ حيث نشأ وترعرع في الجنوب الموريتاني، وبعد تحصيله العلمي والأدبي، في المحاضر الحسنية، قام برحلة الحج التي امتدت بقية حياته. يقول في مذكراته:" حفظت القرآن غيبا(عن ظهر قلب) قبل البلوغ وحفظت في السيرة النبوية بعض مناظم، وابتدأ تعلقي بطلب العلم على خالي محمد بن عُبيد الله، ثم قرأت على يد مشايخ غيره، أكثرهم لي نفعا محمد بن بنيامين وعبد الله بن حمين وعبد القادر بن محمد سالم، فقرأت من النحو الآجرومية ومواضع من الألفية، ومن الفقه منظومة ابن عاشر وبعض رسالة ابن أبي زيد القيرواني

فإنهم من أعلام الجيل الثاني للنهضة العربية بعد الأفغاني ومحمد عبده والشيخ ماء العينين. المرجع/الدليشي الخالدي/ من أعلام الفكر الإسلامي بالبصرة / ص 200 وما بعدها

[1] شرعنا في تحقيق هذه المذكرات فور حصولنا على صورة منها زودنا بها مشكورا الدكتور عبد العزيز سعود البابطين رئيس مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، مطلع العام 1435 هـ/ 2014م

ومواضع متفرقة من مختصر خليل، وأخذت العروض عن خالي وشعر الشعراء الستة وقرأت المقصور والممدود لابن مالك، وجميع مشايخي ما عدا عبد القادر بن محمد سالم هم تلاميذ محمدُ بن حنبل الحسني".

وسنكتفي هنا بفقرات من ما كتبه عنه بعض الكتاب والباحثين المشارقة لمعرفتهم به أكثر من غيرهم، ولكونهم يمثلون حقل أعماله الميدانية وخريجي مدرسته الإصلاحية.

يقول عنه الدكتور علي با حسين: "هو ذلك الطفل الذي سيكون له شأن في تطور العلم والجهاد في سبيل الله وإرساء سفينة النجاة في كل بلاد يحل بها"[1].

"درس الشنقيطي في مجموعة من الخيام الناصعة البياض في الهواء الطلق والشمس الدافئة، في الطبيعة يتلقفها الطلاب دروسا في الدين واللغة والحساب وأخبار الأمم وسير الملوك..." في هذه البيئة تلقى العلوم والآداب حيث لا حدود ولا جدران تحدد التفكير ولا أبواب تمنع من الخروج بل الحرية في طلب العلم في أسمى مظاهرها دون قيود أو حدود... كأنهم في معسكر كشفي تربطهم رابطة العلم فيما بينهم."

"وهو من بني الحسن، وهي قبيلة ظهر منها شيوخ أجلاء وعلماء أعلام خدموا العلم وأهله ومنهم الشيخ محمد الأمين فال الخير الشنقيطي".

"ولما حان وقت الترحال بعد أن زود نفسه بالعلم، ركب الشيخ الجليل سفينة النجاة من شنقيط التي حمل اسمها وخلدها عبر التاريخ في بلاد المغرب مع جملة ممن خرجتهم تلك الفساطيط والخيام فسارت بعلمهم الركبان"

"ورحل الشيخ محمد أمين فال الخير إلى الحج وفي مصر أخذ عن رجال الأزهر وجلس هناك في رواق المغاربة شابا يتلقى المزيد من العلم..."

ثم "تصدر للتدريس في دار الدعوة والإرشاد في مصر وممن أخذ عنه أبناء آل شاكر"[2]،

وبعد الحج شرع في تحصيل وتكميل وتعميق العلوم والمعارف ونال الإجازات من بعض علماء الحجاز والأحساء.

---

[1] مجلة الدارة (السعودية)، السنة 13 العدد1، يوليه 1987، ص 105.

[2] مجلة الدارة، السنة 13 العدد 1 — يوليو 1987، ص 106

كانت أمنية الشيخ الشنقيطي في قوله:

"**الذي أتمناه في حياتي أن يكون في الحرم المكي إمام واحد**"[1] ثم بدأ ينشر العلم لطلابه في الحرمين قبل استئناف الرحلة إلى الهند والعودة إلى الكويت والعراق.

أخلاقه:

"... كان رحمه الله تعالى يتصف بالرجولة والأخلاق العالية... حجة في الحديث والتفسير واللغة العربية مثالا للاستقامة والتضحية أنموذجا في المثابرة والصلابة والتخلق بخلق القرآن".

بعد المشاركة الفعلية في الجهاد ضد المستعمر الانجليزي في العراق والكويت، نفي في عنيزة حيث كتب مذكراته وعند انتهاء الحرب العالمية الأولى، "عاد الشيخ الشنقيطي إلى بلدة الزبير؛ ليرسي أسس مدرسة سيكون لها شأن ونصيب في التاريخ، وكانت الأذهان مستعدة لتلقي العلوم؛ فأخذ ينشر فكرة تأسيس مدرسة تعنى بالنشء منذ حداثتهم فتزودهم بالعلوم التي تصلح بها دنياهم فيتخرج جيل صالح يساير الركب الحضاري معتزا بدينه مفتخرا بقوميته"[2].

فاستجاب لهذه الفكرة نخبة من رجال العلم والأئمة في الزبير والبصرة حيث أنشأوا جمعية النجاة ومدرستها برئاسة الشيخ محمد أمين فال الخير الشنقيطي، سنة 1339هـ -1920م.

مشاركته في الجهاد والمقاومة ضد الانجليز في العراق والكويت:

".. ثبت أن الشنقيطي كان يقاتل في معركة الشعيبية ببندقيته قتال المستميت في سبيل الله، كما كان لا يفتأ يحث المجاهدين على نيل إحدى الحسنيين: إما الانتصار وإما الشهادة، شأنه شأن فريق كبير من رجال الدين الذين أفتوا بالجهاد واشتركوا بالمعركة"، ".. فاشتراك الشنقيطي في معركة الشعيبية مقاتلا ومفتيا ومشجعا أمر ثابت بالتواتر تدعمه الأحداث والروايات. أما مشاركته في معارك كوت الزين وسيحان ومعارك الساحل، فتتضارب المصادر حول حقيقتها[3].

---

[1] المرجع السابق".. حيث كان في الحرم المكي أربعة أئمة يؤمون المسلمين في صلواتهم حسب المذاهب الأربعة..، وتحققت أمنيته في عهد المغفور له صقر الجزيرة العربية عبد العزيز آل سعود..." نفس المرجع، ص 108.

[2] نفس المصدر، ص 109

[3] عبد اللطيف الدليشي الخالدي من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، الشيخ محمد أمين الشنقيطي، ص 125

رابعا -شذرات تتضمن مواقف وأحكاما نقدية:

شذرة (1) – " إن هذا القرن قرن الشعر":

مقولة قالها (في موريتانيا) عبد الله بن حمين الحسني في النصف الثاني من القرن 13هـ

السياق الذي وردت فيه في المذكرات:

".. وقال لي مرة (يعني محمد محمود بن التلاميد في مصر مخاطبا محمد فال الخير): " إني بعيد عهد بالبلاد وقل أن يأتيني مثلك، فأخبرني عن حال الناشئة التي نشأت بعدي من قبيلتكم ومن غيرها"، فقلت له: "أما قبيلتنا، فلم يزل في ناشئتها النبوغ بالشعر حتى إنه بلغني عن شيخنا عبد الله بن حمين الكريمي_ ولم أسمعه منه_ أنه قال:"**إن هذا القرن قرن الشعر** "(يعني القرن الثالث عشر للهجرة)، وقد جرت منذ ثلاث سنين[1] مساجلة بين فتية من قبيلتنا بعضهم على سني وبعضهم أصغر وبعضهم أكبر أنا أسمعك بعضها..".

وبعد إيراد أمثلة من تلك المساجلات بنصوصها الشعرية المتنوعة يختم محمد فال الخير بقوله: وجرت بينهما أشعار على هذا الروي خرجا فيها من جادة الأدب إلى جادة البذاء والسفه ولا أحب أن أذكر شيئا من ذلك، ثم قام (ثار) عليهما الجماعة، فأسكتوهما، فتتاركا(...) وانتهت المسألة بعد أن كادت توغر صدور الأفخاذ بعضها على بعض".

فقلت له: هذا من أحدث ما جرى في قبيلتنا. وأما غير قبيلتي فلم يحصل لي تجول في القبائل ومن أقربهم إلينا بنوديمان وبينهم في هذه المدة الأخيرة أيضا مساجلة بلغني منها (شيء)... وسألني عن أشياء كثيرة من أحوال بلادنا، فأفدته عن بعضها وبعضها لم أفده عنه"[2].

شذرة (2) -إن الشعر بنى بيته في بني حسن وفرق أولاده في القبائل:

مقولة قالها الشيخ سيدي بابا ولد الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا الكبير في بوتلميت مطلع القرن 14 للهجرة نهاية القرن 19 للميلاد.

السياق الذي وردت فيه في المذكرات:

"ولما اجتمعت بالشيخ سيديا بن محمد بن الشيخ سيديا الكبير التندغي وهو عندي كما قال الشاعر:

---

[1] يوافق 1315هـ / 1897م

[2] المذكرات، ص 44 – 46

إذا قالـــــت حـــــذام فصـــــدقوها فـــإن القـــول مـــا قالـــت حـــذام

جعل يسألني عن شعراء قبيلتنا ويستنشدني أشعارهم، فأسمعته جملة مما أحفظ، وأنشدته قصيدة لي أولها:

أبكـــاك عـــذري الهـــوى يـــوم النـــوى وهـــل البكـــاء دواء عـــذري الهـــوى؟

بـــان الجـــواء مـــن اللـــوا فغـــدا اللـــوى إذ بـــان منـــه الحـــي مســـلوب اللـــوا

وكان ممن سمعته يقول: " إن الشعر بنى بيته في بني حسن وفرق أولاده في القبائل".

وذكر لي أنه جاءه كتاب من الشيخ عبد الجليل براده، أديب الحجاز ولغويه في وقته، يطلب منه أن يدون له أشعار شعراء الشناقطة ويكتب له تراجمهم، ثم قال لي: " ومعظم ذلك سيكون منكم"، (ثم) قال:" وعزمي أن أكتب إلى كل بطن من بطون بني حسن أن يدونوا لي شعر شعرائهم ويكتبوا لي تراجمهم"[1].

شذرة (3)- "أشعر الناس على الإطلاق هو أشعر قبيلتكم"

مقولة قالها الشيخ أحمد الهيبة ولد الشيخ ماء العينين ولد الشيخ محمد فاضل في مراكش سنة 1318هـ/ 1900م.

السياق الذي وردت فيه في المذكرات:

"ولما اجتمعت ب(أحمد) الهيبة بن الشيخ ماء العينين الحوضي في مدينة مراكش وعرف بي جعل يسألني عن قبيلتنا عموما وخصص منها أناسا منهم المختار بن المعلى، وكان قد بلغه بعض شعره، واستنشدني من شعره، فأسمعته أشياء منه كما سيأتي وقال لي: "كيف ترون درجته في الشعر" ؟ فقلت له: " نرى أنه اليوم أشعر القبيلة"، فقال: " إذن أشعر الناس"، فقلت له: أنا لا أقول ذلك وإنما أقول إنه أشعر قبيلتنا، فقال: "أثبت لي أنه أشعر قبيلتكم أثبت لك أنه أشعر الناس على الإطلاق"، وبالجملة كونهم يفوقون غيرهم من القبائل في الشعر أمر معلوم عند الخاص والعام من أهل تلك الناحية، وإنما ذكرت هذين الرجلين لمكانتهما عند الذين يعرفونهما، فإنهما من رؤساء أهل شنقيط ومن أهل العلم والمعرفة وليسا من قبيلتنا وهذا كلامهما كما ترى، مع أنه يوجد أفراد من شعراء القبائل يفوقون بعض شعرائنا كـ(عبد الله) ابن رازكه و(محمدٌ) بن بدي العلويين وكـ(محمد) بن الطلبه[2] ومولود (بن أحمد الجواد) اليعقوبيين، ومحمد بن الشيخ سيديا التندغي وغيرهم إلا أنه في قبيلتنا أعم وأكثر"[1].

---

[1] المذكرات، ص 14

[2] في الأصل طلبه

شذرة (4) – "شاعر الدنيا هو محمدو بن حنبل الحسني"

مقولة قالها محمد محمود بن التلاميد التركزي في القاهرة 1318 – 1900

السياق الذي وردت فيه في المذكرات:

".. رجعنا إلى خبر التركزي قال لي: "هل تحفظ لوحية ابن عمك شاعر الدنيا محمد بن حنبل"؟ هذا لفظه، قلت: نعم، قال: "اسمعنيها " فأنشدته إياها فلما بلغت قوله:

في عقود النضار والدر منها جيد جيداء من ظباء رماح

قال أعد على هذا البيت، فأعدته، فقال لي: ما تقول في هذا البيت؟ قلت: وماذا عسى أن أقول؟ قال: "إن فيه غلطا"، قلت: ما هو؟ قال: "نسبة الظباء إلى رماح ورماح إنما تنسب إليه المها" قال الشاعر:

وفي الأظعان شبه مها رماح ...

وذكر بيتا أظنه لذي الرمة، وقال: "وأما الظباء، فإنها تنسب إلى وجرة وإلى كذا": موضع سماه ونسيته، فقلت له: " نسبة المها إلى رماح لا تمنع لنسبة الظباء إليه كما أن نسبة الظباء إلى وجرة وكذا موضع لا تمنع نسبة المها إليها" فقال: " هذا ليس بشيء، لأن العرب هكذا قالت. ولا يترك ثابت النقل لتجويز العقل"، فلحقتني العصبية من كثرة اعتراضه، وأحمد الله أني ملكت نفسي، فلم يظهر علي شيء.."[2].

شذرة (5)– "هل يستعمل الشعراء الالتفات في المطالع بغير ضمير الخطاب؟ "

مجال حوار أدبي بين عبد الله بن الأديب اليعقوبي ومحمد فال الخير في مراكش 1318 – 1900

السياق الذي وردت فيه في المذكرات:

".. واعترض علي عبد الله بن الأديب اليعقوبي من تلامذة الشيخ (ماء العينين) بأن الشعراء لا يستعملون الالتفات في المطالع إلا بضمير الخطاب نحو:

طحا بك قلب في الحسان طروب..

ونحو: تطاول ليلك بالأثمد..

---

[1] المذكرات، ص 15

[2] المذكرات، ص 39

فقلت له: لعل ذلك أغلبي، وأما كونه لا يكون إلا كذلك، فلا أسلمه إلا بنص من كلام أهل الفن، وقلت له: مع أني الآن لا أستحضر في شعر فصحاء المتقدمين إلا مثل الذي ذكرت ولكني أعرف استعماله بضمير الغيبة في شعر أناس من أهل الصنعة والخبرة ينشدون وينشد بحضرتهم ولم يعترضوا عليه بشيء، من ذلك قول بعض شعراء قبيلتنا المتقدمين وأظنه غالي البنعمري في لامية له مشهورة أولها:

ما باله كلما لا مته عذاله يزيد في طفحات الجهل ما باله

ومنه قول (محمد) بن بدي العلوي في قصيدة له مشهورة أولها:

ردتـــه بعـــد تمـــام الحلـــم والنبـــه إحـدى الجـواري رهـين الشـوق والولـه
إن امـــرأ ســـفهته بعـــد كبرتـــه بنـات عشـر لمعـذور علـى السـفه

فقنع مني بذلك.."[1]

شذرة (6)- ثنائية فخر الخاصة بفحولة الشعر ونعي ذائقة الشعر عند العامة[2]:

الشيخ محمدو بن حنبل الحسني أواسط القرن 13هـ 19م

قالها شعرا في معلقته البائية المعروفة الواردة في المذكرات:

وَقَـــرِيضٍ بِـــتُّ أَبْنِـــي فَغَـــدَا مِثْـــلَ نَظْـــمِ الْغِيـــدِ تَقْصَـــارَ الـــذَّهَبْ[3]
آخِـــذًا مِـــنْ لَحْـــنِ أَقْحَـــاحِ اللُّغَـــى مُضَّـــغِ الْقَيْصُـــومِ وَالشِّـــيحِ النُّخَـــبْ
مِـــنْ لآلِـــي حَاضِـــرِيهِمْ أَصْـــطَفِي وَمِـــنَ الْأَعْـــرَابِ رُشَّـــافِ الْعُلَـــبْ
مَـــا تَعَـــاطَى اللُّسْـــنُ فِـــي أَنْـــدَائِهِمْ وَتَعَـــاطَوْهُ بِـــأَفْوَاهِ الْقُلُـــبْ
وَأَدَارُوهُ عُصُـــورًا بَيْـــنَهُمْ لِابْتِنَـــاءِ الْفَخْـــرِ أَيَّـــامَ الْغَلَـــبْ

---

[1] المذكرات، ص 30 – 31.

[2] يذكرني هذا بما ورد في عينية سيدي محمد ولد الشيخ سيديا النصف الثاني من القرن الثالث عشر عن أزمة الإبداع في الشعر العربي.

يا معشر البلغاء هل من لوذع يهدي حجاه لمطلع لم يبدع؟!

[3] الفخر بامتلاك ناصية الشعر العربي امتلاكا مطلقا كان سمة من سمات الفخر في عصر ازدهار الثقافة الشنقيطية عند ابن حنبل وابن الطلبة وولد محمدي وابن الشيخ سيديا، وغيرهم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة.

هاجس نعي الشعر عند العامة:

وَلَـــوْ أَرْسَـــلْتُ عَنَـــانِي فِـــي مَـــدَى ... مَـــا بَـــدَا لِـــي مِـــنْ أَسَـــالِيبِ الْعَـــرَبْ
وَمِـــنَ الْحَـــثِّ لِأَرْبَـــابِ النُّهَـــى ... لَقَرَيْـــتُ الْأُذْنَ مِنْهَـــا بِالْعَجَـــبْ
لَكِـــنِ الشِّـــعْرُ انْقَضَـــتْ أَيَّامُـــهُ ... لاَ تَـــرَى الْيَـــوْمَ إِلَيْـــهِ مُنْتَـــدِبْ
غَيْـــرَ رَاوٍ خَـــافِضٍ مَرْفُوعَـــهُ ... نَاصِـــبٍ مَخْفُوضَـــهُ أَوْ مَـــا انْتَصَـــبْ
وَنُـــزُوحِ الْفَهْـــمِ عَـــنْ مَيْدَانِـــهِ ... لَـــيْسَ يَـــدْرِي كَـــامِلاً مِـــنْ مُقْتَضَـــبْ

الشذرة (7): حكم الشيخ سيديا الكبير بتفضيل شعر محمدٌ بن حنبل على شعر الأحول في محفل أدبي في بوتلميت منتصف القرن 13 الهجري – 19 الميلادي.

السياق الذي ورد فيه الحكم في المذكرات:

" ومنهم (أحمد) الهيبة بن الشيخ ماء العينين وحصل لي معه مجلس طويل يسألني عن قبيلتي ويستنشدني أشعارهم، وكنت حديث عهد بالبلاد أحفظ جملة شعر شعراء تلك الناحية ولا سيما الذين هم من قبيلتنا، فمن ما أنشدته نونية محمدٌ بن حنبل التي أولها:

عـــج بـــي علـــى دمـــن النقـــا فمغـــاني ... نهـــي القضـــاة فمرقـــب الصـــيران

وهي طويلة يمدح بها شيخه الشيخ سيديا الكبير، وكذلك أنشدته مقصورته التي أولها:

زارتـــك إذْ زار الجفـــون كراهـــا ... مـــن بعـــدما مـــل المطـــي ســـراها

وهي طويلة يمدح بها الأمير سيدي بن (محمد لـ) حبيب التروزي،

وأنشدته غيرها من شعره أيضا، وأنشدته جملة من قصائد، كالدالية التي أولها:

هـــذي مغـــان حـــوت دعـــدا وذا بلـــد ... كانـــت تحليـــه أيـــام الصـــبا دعـــد

وهي طويلة، وأنشدته جملة من اللامية التي أولها:

حـــي ربعـــا بـــالتوأمين أحـــالا ... بعـــد أحيائـــه دهـــورا طـــوالا

وهي طويلة، وأنشدته غير ذلك،

وقال لي: "أيهما أشعر عندكم: الأحول أم ابن حنبل"، فقلت له: " إن محمدُ بن حنبل نقل عن شيخه (الشيخ) سيديا الكبير أنه فضل شعره على شعر الأحول في محفل ونظم ذلك بقوله:

لا أبـــالي بمـــن يـــذم قريضـــي ... مـــن ذكـــي الحجـــا ومـــن عريضـــي
وعلـــى الأحـــول البليـــغ المجلـــي ... فـــي المـــلا فضـــل الكمـــال قريضـــي"

فقال (أحمد) الهيبة على وجه المزح: "ذلك، لأنه يكثر مدحه"، فضحك الحاضرون.."[1]

الشذرة (8): حكم الشاعر محمد فال الخير الحسني على نفسه في مدى ملكته الشعرية والنقدية مطلع القرن 20.

السياق الذي ورد فيه الحكم في المذكرات:

"وصارت لي ملكة في الشعر في الجملة إلا أن قريحتي في نقده ومعرفة حسنه من رديئه أحسن منها في إنشائه، ولذلك لم أكثر منه، لأن الذي تسمح به قريحتي لا يرضيني من كل وجه، وما ليس بمرض لا ينبغي الإكثار منه، وربما قلت مع ذلك بعض الأبيات أو القطعة أو القصيدة إذا اقتضى الحال ذلك.."[2]

تعليق في ملحوظات:

لست بصدد تحليل ودراسة هذه الشذرات وما تحمله من خلفيات ثقافية ومفاهيم نقدية، وإنما أردت أن ألفت نظر الباحثين في تاريخ النقد العربي إلى وجود هذه الفقرات الشذرات التي بقيت مخطوطة، بعيدة عن الأنظار زهاء قرن، وحسبي اليوم بعد اكتشافها مجهودا جعلها في متناول القراء والباحثين ليضعوها في منزلتها حسب سياقها التاريخي والثقافي والنقدي.

وقبل إنهاء هذا الحديث أود الإشارة إلى بعض الملحوظات والانطباعات المتعلقة بالجانب الأدبي من مذكرات الشنقيطي محمد فال الخير:

1 _ يذكرنا استنشاد العلماء الشناقطة (الشيخ سيديا باب بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سينيا الكبير، والشيخ ماء العينين بن محمد فاضل، وأحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين، ومحمد محمود بن التلاميد، وغيرهم) لشعر الشناقطة عموما والحسنيين خصوصا واستماعهم من الشاب محمد

[1] المذكرات، صص 31 – 33

[2] المذكرات، ص 28

الأمين فال الخير أثناء الرحلة، يذكرنا بعادة ثقافية قديمة هي: استماع علماء البصرة والكوفة في القرون المزكاة دينا وأدبا ولغة من أعراب البادية واستنشادهم الشعر: إنشاء وإنشادا، في أسواق المربد والكوفة.. مع الفارق الزمني بين الفترتين (نحو ألف سنة).

هي إذن سنة أصيلة تشكل اللقاءات والمجالس التي دارت بين هؤلاء وبين محمد فال الخير استمرارا لها بعد انقطاع طويل – ولا أدل على ذلك من الأسلوب الحواري والمضمون اللغوي تارة والأدبي تارة والنقدي تارة ثالثة، والتعاليق المتضمنة للآراء والأحكام التي تتخلل تلك المجالس، وما يعقبها من استحسان تارة وبحث وتدقيق أحيانا أخرى، وقد ينتهي المجلس بإملاء نص شعري أو كتابته[1].

2 ـ يلاحظ حضور الجانب الاجتماعي (القبلي) الواضح في مضامين هذه الشذرات النقدية في مذكرات فال الخير حيث تكلم عن شعراء الحسنيين أكثر من كلامه عن غيرهم، ربما لعلمه بهم أكثر من علمه بغيرهم، وهو ما فعله صاحبه أحمد بن الأمين في الوسيط تماما، إلا أن فال الخير أبعد عن نفسه تهمة التحيز قدر المستطاع، عندما نقل كلام الشيوخ من العلماء والأدباء من مختلف القبائل كشهادات اعتراف للحسنيين بالسبق وبالنبوغ في الشعر العربي عصر ئذ، مشيرا إلى وجود شعراء مبدعين من غيرهم يفوق بعضهم بعض شعراء الحسنيين مع التمثيل.

وإذا كان هذا الموقف من شعراء الحسنيين هو موقف ثلة معتبرة من علماء القرن الثالث عشر وأدبائه وردت أسماء بعضهم في الشذرات، فقد تواصل هذا الرأي بتقديم أدباء الحسنيين على غيرهم في القرن 14 وتجلى ذلك في نسبة حضورهم في بحوث بعض علماء الأدب والنقد نذكر منهم على سبيل المثال الدكتور محمد المختار ولد أباه في كتابه "الشعر والشعراء" والدكتور جمال ولد الحسن في "الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر " ونسبة شعرائهم في قائمة الشعراء الشناقطة المترجم لهم في معجم البابطين.

3–كون الحضور العلمي والأدبي الشنقيطي في الوطن العربي والعالم الإسلامي _مع ما تخلله من ثغرات، وعدم دعاية إعلامية بل وغمط أحيانا – ما يزال مجالا خصبا للبحث والمراجعة ويشكل نواة صالحة للدراسة والتحقيق، سبيلا إلى تصحيح بعض مفاهيم تاريخ الأدب العربي ومصطلحاته، عبر

---

[1] كما ورد في بعض مجالس التركزي مع المؤلف الذي روى" .. ثم ناولني قلما ودواة وورقة وقال لي اكتبها لي فكتبتها له" بعد سماعه مقصورة ابن حنبل.

عصور قوته وضعفه، وكذلك المحافظة على لغة العرب الفصحى: لغة القرآن الكريم، قبل زحف لهجات الأمصار على ما تبقى على ألسنة جماهير العرب ممن لم تمح لغات المحتلين الغزاة لغتهم العربية من على ألسنتهم.

4 ـ كانت جهود الشناقطة في المغرب والمشرق بل وفي العالم الإسلامي عموما جهودا ماثلة في ثنايا حاضر الثقافة والفكر والأدب، و تتجلى ثمار جهود الشناقطة في مؤلفاتهم وفي مؤلفات أجيال المتخرجين على أيديهم منذ القرن الثاني عشر وإلى اليوم من أمثال: عبد الرشيد الشنقيطي اللغوي (أستاذ مرتضي الزبيدي)، ومحمد بن سنة ومحمد صالح الفلاني المحدثان و شيخ الشيوخ الحسني المربي والشيخ سيدي المختار الكنتي الصوفي، وأحمد البدوي النسابة، والمختار بن بونا النحوي وسيدي عبد الله الأصولي والشيخ محمد محمود بن التلاميد المحقق، والشيخ ماء العينين المجاهد، وأحمد بن الأمين الأديب، ومحمد فال الخير المجاهد المصلح، وأبناء مايابى وآبه ولد أخطور المفسرون المحدثون..

كل هؤلاء وغيرهم، من سفراء المحظرة الموريتانية، مجاهدون في سبيل بقاء صرح علوم الإسلام سامقة شامخة، وفي مقدمتها علوم العربية بما فيها الأدب العربي بوصف علوم اللسان مفاتيح لباقي علوم الإسلام وأداة للتفقه في إدراك الرسالة الإسلامية وتبليغها إلى أبناء الأمم في آفاق العالم.

وكانت نظرتهم إلى هذه الحياة نظرة شاملة تقوم على إيمان راسخ بالله وانتماء عميق إلى الأمة العربية والإسلامية، نظرة تجمع بين خدمة الثقافة والانتماء للإسلام والعربية والإنسانية، على أنهم معنيون بهذه الثقافة مسؤولون عن حماية هذه اللغة وما فيها من أخلاق وأدب وفكر قائم على الخير للبشرية جمعاء.

قائمة المصادر والمراجع مرتبة هجائيا:

- أحمد بن الأمين الشنقيطي – الوسيط في أدباء شنقيط – طبعة 2 القاهرة 1961م
- الخليل النحوي – بلاد شنقيط المنارة والرباط – تونس 1987
- د.محمد المختار ولد أباه – الشعر والشعراء في موريتانيا – الطبعة الثانية 1424هـ – 2003م
- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القواعد الفقهية – تحقيق د. سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل، ط 2، 1429هـ – 2008 م الرياض
- عبد اللطيف الدليشي الخالدي، من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، الشيخ محمد أمين الشنقيطي من 1293 إلى 1351هـ، 1876 إلى 1932، طبعة أولى 1401هـ، 1981، بغداد– العراق.
- مجلة التعليم – المعهد التربوي الوطني العدد 35 لسنة 1425هـ – 2004م
- المجلة الثقافية فضاءات العدد 476 الصادرة بتاريخ 18 محرم 1437هـ
- مجلة الدارة (السعودية) السنة 13 العدد 1 يوليه 1987م
- مخطوطة ورقات مذكرات محمد الأمين فال الخير الحسني الشنقيطي –مكتبة التقوى من الزاوية الحسنية
- د. عبد الرحمان الشبيلي: مذكرات محمد الأمين فال الخير الحسني الشنقيطي – طبعة مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.